

## في الترجمة

الذين يشتغلون بالترجمة كثيراً ما تستغرق كل اهتمامهم الأصول التي هم بترجمتها موكلون ، فيشرّبون روحها وألفاظها ومعانيها وأخيلتها حتى تندو عالمًا حيًّا يعيشون فيه بكل وجدانهم وكيانهم . فإذا تهيأوا لترجمة النص ، كانت صورته الكاملة واضحة في مخيلاتهم تمامًا ، ونقلوها إلى اللغة الأخرى بالألفاظ والعبارات التي يحسبون أنها تنقل تلك الصورة بكل وضوحها إلى مخيلات القارئ في اللغة المنقول إليها . فإذا كانوا على قدر من إحسان الترجمة بعيد ، حقّقوا هذا الأمر تحقيقًا باعثًا على تمام الرضا ، أما إذا قدمت بهم وسائل الترجمة ، أو تمثروا في نقل الألفاظ والمصطلحات أو اختاروا عبارات اصطلاحية ليس لها في ذهن القارئ وضوح كاف ، فعندئذ تجيء الترجمة معيبة ، وتقتصر عن بلوغ ذهن القارئ بمثل الوضوح الذي ازدان به النص ، وبمثل الفهم الذي تحقّق للمترجم .

فالمشكلة هنا ليست مشكلة فهم ، ولكنها مشكلة تعبير . والمترجم المكين هو الذي لا يعبى في الفهم ولا في قدرة النقل ، وعنده من حصيلة المعرفة اللغوية ومن المران على الأساليب ما يهون عليه أمر النقل بأسلوب واضح أمين ، مع الاعتصام بالأمانة الصارمة في أداء المعاني الأصلية أداءً سليمًا . ومهما تكن سعة المعاجم المتاحة للمترجمين ، ومهما يكن بحرها في رصد المعاني البعيدة والناشرة ، فإن المترجمين المدققين كثيراً ما يسترشدون بتلك المعاجم ، ثم يتبينون أنه يموزهم الاعتماد على بديتهم وقدرتهم على توليد الألفاظ لأداء معنى مستحص على نهج القاموس ، أو عبارة تندو كالتزم لو نقل

معناها بألفاظ قاموسية محدّدة . وليس في هذا ما يُعاب على القاموس ، مادامت اللغة في تطوّر مستمرّ ، وما دامت المعاني تتوالد بأنماط جديدة متسارعة الخطوات ، والترجمة العلمية عمادها الأوّل والأهمّ على مصطلحات مستقرّة المعاني محدّدة الآماد . وما هكذا الترجمة الأدبيّة التي تتداخل فيها الظلال ، وتشابك المعاني ، وتشيع بين ألفاظها المحسنات البلاغيّة واللغوية بألوانها المتباينة ، وتحتمل عباراتها تأويلات شتّى وترجيحات مختلفة .

وفي مثل هذه المواقف ، يعتمد المترجمُ بمد حسن الفهم والاستيعاب على ما ترجمه بديهته في نقل المعاني التي تنثال أمام ناظره وبصيرته ، فيسوقها منضّدةً بذوقه المصقول ، ويضعها في مواضعها المناسبة ، وبه اطمئنان كامل إلى أنه أدّى للفهم والنقل وللترجمة كلّ حقوقها في غير فضفضةٍ أو تطفيف . ويقول الأستاذ محمد عبد الغني حسن في كتابه النفيس « فن الترجمة في الأدب العربي » إن اختيار اللفظة الملائمة في الترجمة ليست عملية من السهولة كما يتصوّرُها بعض من لم يمانوا النقل من لغة إلى لغة . وهي عملية بالغة الصعوبة بالنسبة إلى المترجم الذي ألقى عليه عبء وضع الفاظ عربية مترجمة مطابقة للمعاني المرادة في الألفاظ الأجنبية ، وبالنسبة كذلك إلى المترجم الذي يتولى ترجمة نصٍّ معيّن أمامه .

ولتبيان طرفٍ من هذه الصعوبة ، اجتهدتُ في حصر طائفةٍ من الألفاظ التي هدّت إليها بديهتي الارتجال في الترجمة وهي مدرجة في هذا الفصل على علاقتها ، مُعرضة لموامل البقاء والفناء ، وهي عوامل يسري ناموسها على الكلام كما يسري على الحياة والناس .

★ ★ ★

فلبعض الفلاسفة نظريات تدور حول ال Superman ، وهو الإنسان الذي تتوافر له أسمى مقومات الحياة البشريّة ، وتكامل فيه الفضائل ،

بحيث لا يتصوره نقص ولا يأتيه عيب . وقد قنع بعض المترجمين بتعريب لفظه « السورمان » اعتقاداً منهم بأنها اكتسبت مع الوقت دلالة اصطلاحية ثابتة في ميدان الفلسفة ، مما يغري بالاستمساك بها على وضعها الفرنجى بعد تأدية حروفها باللغة العربية . بل لقد تسلسل هذا اللفظ الأعجمي إلى عنوانات الكتب كتاب « مقدمة السورمان » الذي أصدره سلامة موسى عام ١٩١٠ . بيد أن هناك من النقلة من ارتأى ترجمة هذه اللفظة إلى « الإنسان الأعلى » أو « ما فوق الإنسان » ، وهناك من اختار لها ترجمة « الإنسان الأرقى » . أما الشاعر محمود أبو الوفا ، فقد تصوّر هذا الإنسان المتفوق تصوراً شعرياً في ملحمة الفلسفية الموسومة « النشيد » ، فقال مخاطبه :

إني أفيك فصلاً خامساً جامعاً كلّ الفصول الأربع  
وهو يقصد « إنسان الفصل الخامس » ، الرجل الذي تهيأت له كل  
أسباب الكمال ، فصار غايةً نيس للبشرية غايةً بعدها .

على أنني استطبت عبارة « الإنسان الأمثل » لتكون ترجمةً دقيقةً بلفظها ومعناها لعبارة Superman . فالرجل الأمثل هو الذي تتسامى فوازه وتعالى فضائله وتحقق به أحلام الفلاسفة وأوهام الشعراء وأمنيات رجال الاجتماع .

★ ★ ★

ويقول الأخلاقيون ورجال الاجتماع وعلم النفس إن في الإنسان قوة فطرية داخلية تسمى Moral or social restraint تتولى تهنيئه عن اقتراف أفعالٍ مستهجنة أخلاقياً واجتماعياً . وذهب المترجمون كلٌّ مذهب في نقل هذه العبارة إلى اللغة العربية ، فقال بعضهم « الكابح الأخلاقي أو الاجتماعي » ، وقال غيرهم « الشكيمة الأخلاقية أو الاجتماعية » ، وقال سواهم « الضابط الأخلاقي » ، وفي اعتقادي أن عبارة « الوازع الخلقى أو الاجتماعي » أوقع

في الأذن وأمتن في الصياغة وأعرق في الأرومة من العبارات التي تقدمتها .  
وهي بدورها من وحي الخاطر والبدية .

★ ★ ★

ويتحدث رجالُ الاقتصاد عن السفن التجارية التي تمخر عباب البحر رافعةً أعلام الدول التي تنتمي إليها ، ويقولون إن أصحاب هذه السفن يعتمدون في حالات كثيرة إلى تسجيل سفنهم لا في الدول التي تنتسب إليها ، بل في دول أخرى تجزل لهم من الإعفاءات الضريبية ومن التسهيلات المالية ما يجعلهم يؤثرونها بالتعامل ، مثل بناما وليبيريا ، فترفع هذه السفن - وهي أمريكية أو زوجية أو بريطانية أو يونانية - أعلام الدول المسجلة فيها بوصفها Flags of convenience . وواضح أن المعنى المقصود بهذه العبارة هو اختيار علم فيه مصلحة مؤكدة لرجال الملاحة وأصحاب السفن . و« علم المصلحة » هذا قد يكون أقلّ وزناً من غيره من الأعلام في المعيار السياسي ، ولكنه أصلح وأجدي في المعيار التجاري والاقتصادي .

فالباحرة اليونانية التي ترفع علم بناما توصف بأنها ترفع « علم المصلحة » أي المصلحة التي يتوخاها أهل التجارة من تسير سفينهم وإطلاقها في مجاري المياه شرقاً وغرباً .

★ ★ ★

والمشتغلون برصد الأحداث التاريخية يحرصون دائماً على إعداد ثبتٍ تاريخيٍّ زمني مسلسل Chronology للوقائع التي يتناولونها في دراساتهم بالإسهاب والتحليل . ويراعى في هذا الثبت أن ترتب فيه الوقائع ترتيباً زمنياً وفقاً لأسبقية حدوثها ، وذلك لإمكان ربط الوقائع ربطاً متسلسلاً في سياقها التاريخي العام .

وقد استصوبتُ وضع عبارة «سلسال تاريخي» مقابلةً للفظة Chronology من حيث أنها تبرز أهمية التسلسل في الوقائع ، كما أن معناها يُستقرى من ظاهر لفظها بغير كبير جهد .

★ ★ ★

والباحثون الذين يستقون مادتهم من مصادر شتية لا يفوتهم أن يشيروا إلى تلك المصادر على هامش الصفحة ليرجع إليها كل راغبٍ في الاستزادة من البحث ، وكل طالب همه الاستيثاق من حقيقة نصٍّ معين . وتسمى هذه الملاحظة الهامشية Footnote ، وقد يذهب بعض المجددين إلى اشتقاق مصدر منها هو Footnoting . فإذا عنَّ للذهن أن يضع مقابلاً لهذه العبارة ، قيل : «تذييل» أو «تحشية» وإنَّ يكن في الوسع أن تضاف إليها لفظة جديدة هي «تهميش» تؤدِّي المعنى المقصود في هذا المقام .

أما الكاسمة «ize» الانكليزية ، فقد كثر إلحاقها بالألفاظ حتى أصبحت في جملتها تؤلف قاموساً برأسه لشيوع استعمالها . فيقال مثلاً Americanize و Neutratize و Democratize و Modernize و Arabize و Mechanize وهلمَّ جراً .

وقد جرى بعض الكتاب على صوغ مقابل من لفظة واحدة لأداء هذه المعاني باللغة العربية ، فقالوا أمركة وتحيد ودمقرطة وتحديث وتعريب وميكنة ، وهلمَّ جراً ، وأغلبها ألفاظ يقف القاري أمامها للوهلة الأولى محيراً في أمرها ، غير مستخرج معناها الصحيح إلاَّ بعد أن يتواتر استعمالها في الفصل الواحد تواتراً يفصح عن حقيقة مؤداها .

وفي اعتقادي أن الوضوح في المعنى ينبغي أن يكون أولى بالاهتمام من الصياغة اللفظية ، ولهذا نؤثر أن تترجم هذه الألفاظ بعبارة كاملة لا بلفظة واحدة ، فيقال «صبغ بالصبغة الأمريكية وطبع بطابع الحياض وُجبل بجبل»

دمقراطية وصبّ في قالب حديث وصيغ صياغة عربية وتطور تطوراً آلياً ،  
وهلم جرأاً .

فالمبرة في الترجمة بالوضوح لا بالإعجاب ، وبحسن التعبير لا بإدغامه .  
ورُبّ جملةٍ متعددة الكلمات خير من لفظةٍ مختصرةٍ يُنجل اختصارها بالمعنى .

★ ★ ★

والواقع أن الترجمة عملٌ من أعمال التحدي التي تستفزّ الذهن الخلاق  
بغاياتها البعيدة . فالذي يتصدّى لترجمة جورج برناردشو مثلاً ، ينبغي أن  
يكون بدرأيته وعلمه وفهمه وكفايته على مستوى يُقارن بمستوى المؤلف  
الكبير ، فإذا اتّجه المترجم إلى نقل كتب التخصصات ، كالعلوم الرياضية  
والفلسفة والصناعات وما إليها ، كان لا بدّ له أن يكون واسع الاطلاع  
على نواحي تلك التخصصات حتّى لا يؤوده الفهم وبمسه النقل .

فالقاريّ الذي يتناول كتاباً مترجماً ، إنّما مراده أن يجد فيه بُغيته  
الكاملة فلا يحتاج بعد مطالعته إلى مراجعة أصله الفرنجيّ استكمالاً للفهم  
أو استيضاحاً لأُمورٍ لفتها الغموضُ بوشاحه . أمّا إذا كان القاريّ يضع  
الكتاب المترجم بيد ليتناول بالأخرى أصله الأجنبيّ لأن الترجمة لم تفِ  
بطلبه ، وأمّا إذا كان القاريّ يقرأ الترجمة ثم ينتهي إلى الحكم بأنها في  
نصّها العربي محتاجة إلى ترجمةٍ أخرى تقيم لها اعوجاجها ، فعنى ذلك أن  
الجهد الذي بُذل في الترجمة قد جاء قاصراً وأن على المترجم أن يستوفي  
معدّته قبل الاضطلاع بجهد جديد في هذا الباب .

والترجمة غيرُ التأليف ، ومسؤولية المترجم لا تشابه مسؤولية المؤلف ،  
فالمترجم مقيّدٌ بحرفيةٍ في اللفظ وقوالب في المعاني لا يستطيع الإفلات منها  
إلاّ إذا خان أمانة الترجمة ، وأنام ضميره الأدبيّ . أمّا المؤلف ، فهو حرٌّ

في ما يكتب ، يبتّر عنه حسباً يشاء له ذوقه ويسجّل خواطره وآراءه على النحو الذي تراءى له فائدته . فهو يجول في ميدان ارتفعت منه كلّ الحواجز ، وليس عليه من حرج في أن يقول ما يشتهي بالأصواب الذي يشتهي ، فإن شاء أن يراجع نفسه ، أضاف وحذف وتفتح بغير قيد .  
 وُعدّة المترجم في التبحر في اللغات ، والقدرة على إجادة الفهم والتعبير ، والبديهة الحاضرة التي تسعف باللفظ المناسب في الموضع المناسب ، والذوق الأدبي القادر على الصقل ، والأمانة التي تعصم من التزييف والحذف إلاّ لضرورة قاهرة .

وديع فلسطيني

(القاهرة)

